Al-Adab Journal **Issue. No (152) (March) 2025**

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

Travel Literature in Islamic History and Its Enrichment of Civilizational Communication: A Descriptive Study

Researcher Khawla Ishaq Al Shehhi
A PhD student in Ijtihad on Contemporary Jurisprudential Issues
Mohamed bin Zayed University for Humanities
@202000222mbzuh.ac.ae

Copyright (c) 2025 **Khawla Ishaq Al Shehhi**

DOI:https://doi.org/10.31973/x2f7ez27

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Abstract:

Travel literature has a significant role in enriching cultural communication through the transmission of knowledge, news, characteristics, and other observations made by travelers during their journeys. Their writings and records encompassed many geographical features and societal traits, focusing on these aspects and evidences, which in turn contributed to fostering cultural communication among Muslims and with other nations and peoples encountered by Muslim travelers. The expansion of the state after the Islamic conquests allowed travelers to explore the territories under their control, becoming part of their state. They delved intellectually into various regions, observing and researching, adapting to each place and time, documenting their observations, mapping routes, and organizing postal systems. Describing regions and attending to them became part of the news of conquests and battles.

Several factors contributed to the flourishing of travel literature throughout Islamic eras, including religious motivations such as pilgrimages and Umrah, Islamic conquests, or scientific and educational purposes to gain knowledge from renowned centers of various sciences such as jurisprudence, medicine, and engineering. Political motivations included delegations and embassies sent by kings and rulers to their counterparts in other states to strengthen relations. Additionally, there were tourism and cultural motivations driven by the desire to explore the world and the globe, travel for its own sake, and the love of movement. Moreover, trade journeys, which expanded among Muslims during the medieval period, also played a role. Travelers provided descriptions of peoples, their customs, traditions, morals, and attire.

The study concluded that Muslim travelers had deep knowledge of the social, religious, and cultural lifestyles of the peoples they visited, enabling them to interact and engage with others through discussions, debates, and scholarly gatherings. This significantly deepened the cultural communication between Muslim travelers and others.

Keywords: literature, travel, communication, civilization.

Al-Adab Journal Issue. No (152) (March) 2025
E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

أدب الرحلات في التاريخ الإسلامي وإثراؤه للتواصل الحضاري (دراسة وصفية)

الباحثة خولة إسحاق الشحي
طالبة دكتوراه الاجتهاد الشرعي في القضايا
المستجدة بجامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

(مُلَخَّصُ البَحث)

لأدب الرحلات علاقة وطيدة في إثراء التواصل الحضاري وذلك عن طريق ما نقله الرحالة من علوم وأخبار وسمات وغيرها مما شاهدوه وعرفوه في أثناء رحلاتهم، إذ انطوت مؤلفاتهم ومدوناتهم على الكثير من الملامح الجغرافية وملامح المجتمعات والشعوب، فركزت الدراسة على هذه السمات والشواهد والتي أسهمت بدورها في إذكاء التواصل الحضاري بين المسلمين بعضهم مع بعض ومع الآخر من الشعوب والبلدان التي مر بها الرحالة المسلمون. فبسبب اتساع رقعة الدولة بعد الفتوح الإسلامية، جال الرحالة بالبلاد التي خضعت لهم وأصبحت جزءاً من دولتهم وتوغلوا بعقولهم في مختلف الأقطار متأملين وباحثين ولبسوا لكل مكان وزمان لبوسه، ودونوا لها الدواوين وعبدوا إليها الطرق ونظموا لها البريد. وعدّ وصف الأقاليم والعناية بها جزء من أخبار الفتوح والمغازي، ولقد أسهمت عدة عوامل في رواج أدب الرحلة على مر العصور الإسلامية، منها الدوافع الدينية كرحلات الحج والعمرة، والفتوحات الإسلامية، أو الدوافع العلمية أو التعليمية بهدف الاستزادة من العلم في بقعة أخرى من العالم ذات صيت في مختلف العلوم كالفقه والطب والهندسة وغيرها، أما الدوافع السياسية فهي كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى نظرائهم في الدول الأخرى لتوطيد العلاقات والصلات وخلافه، كما أن هناك دوافع سياحية وثقافية وهي الرغبة في الطواف حول العالم والكرة الأرضية والسفر لذاته وحب التنقل، فضلا عن الرحلة من أجل التجارة التي اتسع نطاقها عند المسلمين في العصور الوسطى. وقدم الرحالة وصفاً للشعوب وعاداتها وتقاليدها وأخلاقها وأزيائها وملابسها.

وخلصت الدراسة إلى أن الرحالة المسلمين كانوا على معرفة عميقة بطرائق حياة الشعوب التي زاروها الاجتماعية والدينية والثقافية وغيرها، مما أتاح لهم القدرة على التعامل مع الآخر والانفتاح عليه، من خلال الحوارات والنقاشات والمجالس العلمية التي شاركوا فيها، وقد أدى ذلك إلى تعميق التواصل الحضاري ما بين الرحالة المسلمين والآخرين.

الكلمات المفتاحية: أدب، الرحلة، التواصل، الحضارة.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

مقدمة:

احتل أدب الرحلة مكانته بين العلوم الإنسانية، فاهتم الباحثون بدراسة تأثيره في حياة الإنسان، وتتبعوا نشأته وتطوره إلى أن أصبح مستقلا بالتأليف، كما تعرفوا على رواده الأوائل الذين جالوا مختلف بقاع العالم منقبين ومبشرين حاملين مشعل المعرفة، ومضيفين على رحلتهم الطابع العلمي وذلك بتدوين مشاهداتهم التي تتقاسمها ثلاثة فنون منبثقة عن تنقلاتهم وهي: تقويم البلدان أو أدب المسالك وأدب الرحلة وكتب العجائب والغرائب.

ونتناول في هذا البحث أحد التصنيفات والفنون المنبثقة عن الرحالة المسلمين وهو أدب الرحلات، وذلك بسبب علاقته الوطيدة في إثراء التواصل الحضاري عن طريق ما نقله الرحالة من علوم، وأخبار، وسمات وغيرها مما شاهدوه وعرفوه أثناء رحلاتهم؛ حيث تنطوي كتب أدب الرحلات على الكثير من الملامح الجغرافية وملامح المجتمعات والشعوب حتى حدود شمال أوروبا والهند والصين، بما في ذلك الثقافات والديانات وأنظمة الحكم في البلاد التي وصلها الرحالة. كما اعتنى هؤلاء الرحالة بدراسة اقتصاديات الشعوب كجزء من التعرف على أحوال البلاد التي تواصل معها المسلمون ثقافياً واجتماعياً وسياسياً، مما أغنى الحضارة الإنسانية بخبرات وتجارب زاخرة بالفائدة أسهمت في ارتقائها .

أهمية البحث:

تظهر أهمية الدراسة من خلال الوقوف على أبرز السمات والشواهد التي نقلها الرحالة المسلمون عن طريق مؤلفاتهم ومدوناتهم مما أسهم في إذكاء التواصل الحضاري بين المسلمين بعضهم مع بعض ومع الآخر من الشعوب والبلدان التي مر بها الرحالة المسلمون.

مشكلة البحث.

تتجه الدراسة إلى الإجابة عن السؤال الرئيس للبحث وهو: كيف أثر أدب الرحلات عند المسلمين في إثراء التواصل الحضاري؟

ومن خلال الدراسة سيتم الإجابة مجموعة من الأسئلة الفرعية التي من خلالها يجري معرفته والإحاطة بجوانب الموضوع قيد الدراسة وهي:

- ما المقصود بأدب الرحلة في اللغة والاصطلاح؟
- ما أسباب ودوافع الرحلات عند المسلمين؟
- ما أبرز المشاهدات الاجتماعية والدينية والثقافية للرحالة المسلمين؟

منهج البحث.

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي وذلك بعرض المعلومات والحقائق من المشاهدة الحية والتصوير المباشر، مما يجعل قراءتها غنية، ممتعة، وعرضت نماذج من المشاهدات ومقابلات الرحالة المسلمين في مختلف البلدان التي زاروها، وخلص البحث في نهايته إلى عدة نتائج هامة فيما يتعلق بأثر أدب الرحلات عند المسلمين في إثراء التواصل الحضاري.

مصادر البحث.

اعتمد البحث مجموعة من المصادر والمراجع منها: رحلة ابن جبير "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"، " وكتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب" للمقري التلمساني، " وكتاب تحفة الألباب ونخبة الإعجاب " أبو حامد الغرناطي،" وكتاب " سفر نامة " لناصر بن خسروا، وغيرها من المصادر ذات العلاقة بموضوع الدراسة.

أولاً: أدب الرحلات المفهوم والأغراض

استفاد الرحالة المسملون من الحوافز المشجعة لانتشار الرحلات المتنوعة، واستجابوا لتعطش القراء لمعرفة أحوال البلدان وسكانها، فدونوا مذكراتهم التي لقيت إقبالا من طرف الفئات الثلاث من مجتمعهم وهي فئة الحكام والفئة الخاصة والفئة العامة. وإيماناً منهم بنشر المعرفة بذلوا جهودهم في خدمة الأدب الجغرافي وتقريب الحضارات وترويض الخيال علّه يأتي بإنتاج مفيد في مجال العلوم الإنسانية والاكتشافات الجغرافية، فرفعوا شأن الحركة العلمية وصدقوا في عملهم واهتموا بالإنسان في سلوكه ومعاشه وآدابه وتعلقه بأرضه وظواهر بيئته الطبيعية والبشرية[1] فقادهم شوق المعرفة إلى الاجتهاد والتحقيق في مجال المسالك والممالك القريبة أو البعيدة، فتوغلوا بعقولهم في مختلف الأقطار متأملين وباحثين ولبسوا لكل مكان وزمان لبوسه.

وتكمن أهمية الرحلة في كونها اليد التي تمتد لتقرب شعوباً تناءت عن غيرها من الشعوب، وأقواما إلى أقوام، تفصل بينها البحار والقفار، وسبحان القائل: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ». (سورة الحجرات الآية ١٣).

ولا تتوقف ثمار الرحلة عند التعارف، أو صقل الشخصية، أو كشف طباع الشعوب، بل إنها تجود بمكاسب علمية وأدبية يتعذر حصرها، فبرغم اختلاف دوافع السفر من إنسان إلى آخر، فإن الرحلة عبارة عن سلوك يؤتي ثماره النافعة على الفرد وعلى الجماعة، فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها، وليست الجماعة بعد الرحلة هي ما كانت عليه قبلها.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

١. مفهوم أدب الرحلات والبواعث إليها

الرحلة لغة: جمع رحلات ، ومصدر رَحَلَ، وهو الانتقال إلى مكان آخر، ويكثر في الدلالة على الخروج للنزهة والترويح عن النفس (عمر، أحمد، ٢٠٠٨، معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، الرياض، مادة ر ح ل). وارتحل القوم انتقلوا والراحلة الناقة الصالحة لأن تركب. (الفيروز أبادي ، محمد، القاموس المحيط، .٢٠٠٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، مادة رحل). وجاء في معجم مقاييس اللغة ما مفاده " رحل : الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضي في سفر، يقال: رَحَلَ يَرحلُ رحلةً، وجملٌ رحيلٌ: ذو رِحلةٍ، إذا كان قوياً على الرحلة، والرحلة: الارتحال، ويقال أَرحَلتِ الإبل: سمنت بعد هزال فأطلقت الرحلة، والراحلة: المركب من الإبل سواءً ذكراً أو انثى.(ابن فارس، أحمد ، ١٩٧٩م، مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، مادة رَحَلَ).

أما الجوهري في معجمه صحاح العربية عرفها: رحل ، الرَحل: مسكن الرجل وما يصحبه من الأثاث، والرحل أيضاً رَحلُ البعير، وهو أصغر من القتب. والجمع الرِحالُ، ورحل فلان وارتحل وتَرَحَّل بمعنىً، والاسم الرَحيلُ. (الجوهري، اسماعيل، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ١٩٨٧، دار العلم للملايين، بيروت، ج٦ ، مادة رحل) .

لكل هذه التفسيرات جميعاً كانت لرحلة المسلمين في أوائل العصر الإسلامي. وإذا كانت الجوانب المادية للحضارة الإسلامية أخذت منذ البداية تخطو خطاً وطيدة متزنة، إلا أنها بالنسبة للرحلة والترحال والرحالة كانت تقفز بخطوات واسعة، رغبة في ارتياد المجهول وتقصي الحقيقة وطلب العلم والمعرفة من مواطنها الأصلية .

ويعد أدب الرحلات من الفنون الأدبية التي شاعت لدى العرب منذ القديم، وهو فن له خصائصه المعينة، وذلك لأن الحديث عن الأمم والبلدان ووصف المجتمعات التي يمر بها الرحالة أو يقصدها إنما هو بصورة ما لون من ألوان القصص، والواقع أن هذا الفن موغل في القدم، عرف من قبل الذين جابوا الآفاق، واشتهر منهم كثيرون مشرقاً ومغرباً أمثال ابن جبير وابن بطوطة وغيرهم كما أن أدب الرحلة من المصطلحات التي يصعب أن نجد لها تعريفا جامعاً، مانعاً إذ إن هذا الفن من فنون الأدب العربي لم يظهر تحت مسمى أدب الرحلات، وإنما كان يظهر أحيانا تحت تصنيف كتب التاريخ أو الجغرافيا أو السيرة الذاتية أو كتب الاعتراف أو أدب الاعتراف، وهكذا فإن هذه التسمية " أدب الرحلات»"تسمية وليدة هذا العصر وما شهده من دراسات ومصطلحات وتقسيمات لفنون وألوان المعرفة الأدبية. ونرى بأن أنسب تعريف لأدب الرحلات هو:" أنه نوع من الأدب الذي يصور فيه الرحالة ما جرى

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

له من أحداث، وما صادفه من أمور في أثناء رحلةٍ قام بها إلى أحد البلدان، سواءً كتبه بيده أم كتبه آخر بعد أن يملي عليه أو يحدثه الرحالة بمشاهدته ومشاعره تجاه ما سمع وما رأى.

٢. الأسباب والدوافع للرحلات

من أهم الأسباب والدوافع التي مهدت للرحلة والرحالة الطريق لارتياد العالم، هو اتساع رقعة الدولة الإسلامية التي امتدت من الصين شرقاً وحتى المحيط الأطلسي غرباً، (كرد علي، محمد، ١٩٣٤، الإدارة الإسلامية في عز العرب، مطبعة مصر، القاهرة، ص ٣٠)، فلقد عانى المسلمون عناية خاصة، بعد الفتوح الإسلامية، بالبلاد التي خضعت لهم وأصبحت جزءاً من دولتهم، فدونوا لها الدواوين وعبدوا إليها الطرق ونظموا لها البريد. ومن الجدير بالذكر بأن نظام البريد أو النظم الإدارية هي التي دفعت وشجعت المسلمين على الرحلة منذ نشأة الدولة الإسلامية، إذ عبدت الطرق لأجله ومهدت المسالك. (رمضان، أحمد، ٢٠٠٧، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر، ص ٩-١٣.)

ومن العوامل المهمة التي ساعدت على الرحلة، وصف الأقاليم والعناية بها التي عدّت جزءا من أخبار الفتوح والمغازي، كما كانت أنحاء الدولة الإسلامية المتسعة الأرجاء تتطلب الدراسة والوصف، تمهيداً لتطبيق أحكام الشريعة، وتسهيلاً لمهمة الولاة. ومن ثم فقد كان أول ما دون في التاريخ الإسلامي، كان تاريخ المدن والأقاليم، وهي التي ارتبطت بالفتوح والجغرافيا، وترجع إلى صدر الإسلام. ويحدثنا المسعودي في ذلك فيقول: إن عمر بن الخطاب كتب بعد فتوحاته إلى حكيم معاصر له، بأن الله مكن للعرب في تلك البلاد فأقاموا في الأرض وسكنوا المدن، وطلب منه عمر أن يصف له المدن وجوها ومنازلها وأثر المناخ على سكانها. (المسعودي، علي، ١٩٨٩، مروج الذهب، المكتبة العصرية، بيروت، ج٣، ص ١٢٣)

ومن العوامل الدينية التي ساعدت على الارتحال في فجر الإسلام، وأهم بواعث الرحلة وأعظمها شأناً عند المسلمين تأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد سجل هؤلاء الحجاج مشاهداتهم وأحاسيسهم وكذلك الطرق والدروب التي سلكوها والأحداث التي صادفوها في مصنفات عرفت بكتب الرحلة. (الازرقي، محمد، ١٩٨٣، أخبار مكة، دار الأندلس للنشر، بيروت،ج١ ، ص٤٢). ثم تأتي الرحلة بعد ذلك من أجل جمع الحديث من أفواه الرواة، وتروي لنا كتب علم الحديث، وكتب طبقات المحدثين، قصصا كثيرة عن المحدثين الذين قاموا برحلات شاقة في سبيل جمع الأحاديث المحفوظة في صدور الرواة المتفرقين في أنحاء العالم الإسلامي ليدونوها لأول مرة. وطبيعي أن تكون الرحلة من أهم الوسائل لطلب العلم في أوائل العصر الإسلامي، فقد كانت الكتب

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

نادرة، وكانت الدراسة العلمية تقوم مقام المراجع والمؤلفات اليوم. وفضلا عن ذلك ، فقد تعددت مراكز الثقافة في دار الإسلام ، فكان رجال العلم ينتقلون من إقليم إلى آخر يدرسون على مشاهير الأساتذة ويتلقون بأعلام الفقهاء والمحدثين واللغويين وكذا الأطباء والفلاسفة والرياضيين. ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في العصر العباسي، حرص الخلفاء على معرفة أجناس دولتهم، وطرق التحكم فيها، مما جعلهم يهتمون اهتماما خاصا بصورة الأرض وما احتوت من بحار وأنهار وجبال وغير ذلك من معلومات يتحتم معرفتها. لذلك نجد أبا جعفر المنصور يأمر بترجمة بعض العلوم إلى العربية وخاصة علم الفلك، مما لها إتصال بعلم البلدان، واقتفى أثره كل من جاء بعده من خلفاء العباسيين وبخاصة المأمون الذي أمر بترجمة كتاب بطليموس، الذي نقل عنه الخوارزمي، معاصر الخليفة المأمون. (رمضان، أحمد ٢٠٠٧، مرجع السابق، ص ٧).

وقد أدت حركة الترجمة هذه إلى نهضة علمية كبيرة في جميع العلوم العقلية. أو كما يسميها العرب، علوم الأعاجم، ومن بينها علم البلدان أو علم الجغرافيا. وقد ظهر في العصر العباسي أكثر من اتجاه، فقد وجد في بادئ الأمر الاتجاه الرياضي الذي عنى في المقام الأول بعلم الأطوال والعروض، ومن ثم سمي هذا الاتجاه بالجغرافيا الرياضية وتقويم البلدان الذي بلغ تطوره في مؤلفات ابن سعيد المغربي وأبي الفداء.أما الاتجاه الثاني فقد اهتم بوصف المسالك والممالك والعجائب والرحلات ولذا سمي بالجغرافيا الوصفية. وقد أخذت الجغرافيا الوصفية في التطور، إلا أنها تخلت منذ القرن التاسع الهجري عن الوصف الدقيق والتعبير المعقول المقبول، واهتمت بالتراجم ووصف المزارات والأضرحة والخانقاوات التي أحيطت بالكثير من الأساطير والمعجزات وكرامات الأولياء. (رمضان، أحمد ٢٠٠٧، مرجع السابق، ص ١٢). ونضيف إلى ما تقدم الرحلة من أجل التجارة التي اتسع نطاقها عند المسلمين في العصور الوسطى. سواءً كان باتجاه شرق الدولة الإسلامية، أو إلى غربها.

٣. الرحلات: أهميتها وعلاقتها بالعلوم

يتعرض نمط الرحلات إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد، إذ تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الآداب والأديان والأساطير. فالرحلات منابع لمختلف العلوم، وهي بمجموعها سجل حافل لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصر. فالرحالة وهو يطوي الأرض أثناء رحلته يغطي في نفس الوقت ملاحظة مظاهر مختلفة في الحياة، يشاهدها أو يسمعها أحياناً وينقلها في رحلته. ولا شك أن الرحالين يختلفون فيما بينهم في دقة ملاحظتهم وفي درجة اهتمامهم وفي نوع هذا الاهتمام، كما يختلفون أيضاً في درجة صدقهم وأمانتهم وفي تنوع فهمهم للأمور تحت الظروف

المتغايرة التي يخضعون لها، ومع ذلك، فإننا ننظر من هذه الناحية إلى الرحلات كمبدأ ككل، مهما كان بينها من اختلاف وتنوع في الاتجاه والتقدير. ومن هنا كان للرحلات قيمتان عظيمتان: قيمة علمية وأخرى أدبية.

أما القيمة العلمية، فإن من المتفق عليه أن الرحالين العرب قد قدموا، على مر العصور، خدمات جليلة في دراسة أحوال البلاد العربية والإسلامية من مختلف نواحيها، وتعدوها في رحلاتهم وأخبارهم إلى بلاد أجنبية أخرى في آسيا وأفريقيا وفي أوروبا فيما بعد. وذلك لما تحتويه معظم هذه الرحلات من كثير من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، مما دونه الرحالة تدوين المعاين في غالب الأحيان من جراء اتصاله المباشر بالطبيعة وبالناس وبالحياة خلال رحلته. حيث مثل الرحالة دور الناقل للمظاهر ليضعها بين أيدي الجغرافيين أو المؤرخين أو علماء الاجتماع مثلاً، كل بحسب اختصاصه. وهذه العلوم المختلفة مرت بعده بعدة مراحل قبل أن تصل إلى ما هي عليه اليوم من دقة وتحديد وضبط، وقبل أن تتخذ صفة العلم القائم بذاته.

ولا يقلل من قيمة ما كتبه الرحالة العرب في المادة الجغرافية، ما خضعوا فيه للنظريات الموروثة عن الأوئل، أو ما نقلوه من خرافات الشعوب وأساطيرها من دون أن يحكموا فيه العقل وملكة النقد والتحليل التي يبدوا أنها كانت ضعيفة لديهم في أغلب الأحيان مما جعل مثل هذه النظريات تأخذ طريقها إلى أفكارهم مع أنها لم ترق إلى مستوى تجربتهم العلمية التي أسهموا عن طريقها بتقديم مواد جغرافية جديدة وذات قيمة عظيمة. (حسنين، حسني، ١٩٨٣، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، الطبعة الثانية. ص٨).

وأما القيمة الأدبية في الرحلات فتتجلى في ما تعرض فيه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني. وبرغم ما يتسم به أدب الرحلات من تنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف وغيره فإن أبرز ما يميزه أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوق، بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى. وقد اعتمد الأسلوب السجع أحياناً، وقد ينحوا منحنى الجفاف والصرامة العلمية أحياناً أخرى خاصة في تناوله للموضوعات العلمية(حسنين، حسني، ١٩٨٣، أدب الرحلة عند العرب)، "وقد أثار هذا الأدب أهتماً بالغاً بسبب تنوعه وغنى مادته، فهو تارة علمي وتارة شعبي، وهو طوراً واقعي وأسطوري على السواء. تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة. لذا فهو يقدم لنا مادة دسمة متعددة الجوانب لا يوجد مثيل لها في أدب أي شعب معاصر للعرب"

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

(كراتشكوفسكي، اغناطيوس،١٩٥٧، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، دار الثقافة في جامعة الدول العربية، ج١، ص ٢٥).

ثانياً: علاقة أدب الرحلات بالتواصل الحضاري

أبدى الرحالة المسلمون على مر العصور اهتماما بالغاً بأدب الرحلات، فكانت من أمتع الفنون الأدبية وأقربها إلى أنفسهم، وذلك لما يظهر عند سرد الرحلة من صور أدبية ومواقف بديعة وطرائف غريبة وحكايات تدعو للإثارة والتشويق ومشاهد رائعة حيث يكشف الرحالة عن ثقافة الآخرين ويعبر عن تجاربه الشخصية التي واجهته أثناء رحلته فضلا عن التدوين في أدب الرحلات في صور مذكرات أو وقائع يومية تتميز بدقة الوصف الأدبي إلى جانب الدقة في الرؤية والمشاهدة.

ولقد ساهمت عدة عوامل في رواج أدب الرحلة على مر العصور الإسلامية، منها الدوافع الدينية ورحلات الحج والعمرة، والفتوحات الإسلامية، أو الدوافع العلمية أو التعليمية بهدف الاستزادة من العلم في بقعة أخرى من العالم ذات صيت في مختلف العلوم كالفقه والطب والهندسة وغيرها، أما الدوافع السياسية فهي كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى نظرائهم في الدول الأخرى لتوطيد العلاقات والصلات وخلافه، كما أن هناك دوافع سياحية وثقافية وهي الرغبة في الطواف حول العالم والكرة الأرضية والسفر لذاته وحب التنقل وتغيير الأجواء وتجديد الدماء بالمشاهدة والملاحظة والاستمتاع بالمغامرة . بالإضافة إلى الرحلات إلى البلاد الأوروبية للاطلاع على مظاهر الحضارة الغربية عن كثب.

وإذا كانت اللغة تمثل أبرز قنوات التواصل مع الآخر، فإن كتب أدب الرحلات الإسلامية أيضا لعبت الدور الكبير في معرفة الآخر ومشاركته أفكاره والتواصل معه إلى أبعد الحدود، كما ركزت الرحلات على العلاقة الوطيدة بين المكان والإنسان وتناولتها في كثير من المواضع بالتصوير التفصيلي، وأولت البعد الاجتماعي قدراً كبيراً من العناية والاهتمام في أثناء بحثها عن ذاتها من خلال ثقافة الآخر وأسلوب حياته، فرسمت صوراً للحياة الاجتماعية، والتأثير الديني الذي كان دافعاً عاماً اشترك فيه معظم الرحالة، وألقت الضوء أيضاً على كل ما لفت انتباه الرحالة من أحوال المعيشة، وما بلغته الحياة من تقدم وتطور في مختلف طبقات المجتمع. وأشارت إلى المحطات المهمة في حياة الإنسان، وكل ما يرتبط بها من مظاهر اجتماعية ومناسبات، وما يتعلق بها من العادات والتقاليد والأعراف التي تختلف من مجتمع إلى آخر بأشكال ونسب متفاوتة، إلا أن هذا لا يلغي الخصوصية التي تميز بلد عن آخر في التداول والاستعمال.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

وبتطبيق ذلك عملياً على الرحالة المسلمين نجد على سبيل المثال أن الرحالة المسلم ناصر بن خسرو قد تواصل أثناء رحلته مع المصريين؛ وذلك من خلال التقائه بهم ووصفه لبلادهم فحكي عن مركزهم العلمي والثقافي ومكانتهم الاجتماعية في ذلك العهد، ووصف المساجد وما يخصها من أعمال، وتعرف على المكانة العظيمة التي كانت للثغر هناك والذي كان معبراً هاماً من معابر المسلمين إلى مكة المكرمة .كما أنه سمع أن سلطان مصر يقيم مأدبة في كل من العيدين، ويأذن بالاستقبال في قصره للخواص والعوام، وتنصب مائدة الخواص في حضرته ومائدة العوام في سرايا أخري، فرغب في رؤيتها، مرأى العين، فذهب إلي أحد كتاب السلطان وكان قد صاحبه وتوطدت الصداقة بينهما، وقال له :" رأيت مجالس ملوك وسلاطين العجم مثل السلطان محمود الغزنوي وابنه السلطان مسعود، وقد كانا ملكين عظيمين ذوي نعمة وجلال، وأريد أن أرى مجلس أمير المؤمنين ". وقد سمح له بذلك فقام بوصف قصر السلطان أجمل وصف في كتابه سفرنامه. (خسرو علوي، ناصر، ١٩٩٣، سفر نامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ١٢٢).

وسنأتي على تفصيلها هذا المبحث، وذلك على ثلاثة مطالب تتناول المشاهدات الإجتماعية والدينية والثقافية لدى الرحالة المسلمين، ومن خلال هذه المشاهدات يتضح لنا أثرها في إثراء التواصل الحضاري وتقبل الآخر مهما كان اختلافه (ديناً أو عرقاً).

١. إثراء المشاهد الاجتماعية في أدب الرحلات للتواصل الحضاري

تعد حركة التداول الاجتماعي القائمة بين أفراد المجتمع الواحد، أو بين المجتمعات ذاتها، واحدة من أبرز المشاهد التي وقف عندها الرحالة المسلمون والتي رصدت الأشكال المتعددة للعلاقات الاجتماعية المتمثلة في العادات والتقاليد والأعراف التي أسهمت بدورها في إعطاء صورة واضحة عن أهم أسس البناء الفكري والسلوكي للمجتمعات والذي يظهر إلى حد بعيد العمق الثقافي ومدى التقدم الحضاري .

وقد كان الرحالة المسلمون يتجهون إلى استخلاص أسلوب الحياة في البلدان التي قصدوها وذلك من خلال استقراء الواقع الاجتماعي الاقتصادي، وتحليل المخزون الفكري والقيمي في حديثهم عن حياة الشعوب وعادتها وتقاليدها وأعرافها وأخلاقها وطريقة لباسها وأحوالها المعيشية. وتجدر الإشارة إلى تميز الرحالة المسلم بعين لاقطة ذات حس عال بواقع الأشياء استطاعت كشف الكثير من مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصاية والسياسية، والتعمق في مضامينها ليتسنى له من خلال ذلك استجلاء الحقائق التي تمكنه من إبداء آرائه مدعمة بالدلائل المنتزعة من الواقع المعيش، لذل رصدوا في رحلاتهم صوراً متعددة من الحياة الاجتماعية للبلدان التي زاروها تمثل بعض مناسبات القوم وأخلاقهم

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

وعاداتهم وتقاليدهم، التي كانت في أغلبها تغاير ما عرفوه وعاشوه في بلادهم. (الهروط ، بلال، ٢٠٠٨، صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية، رسالة دكتوراه، نوقشت و أجيزت من جامعة مؤته بتاريخ ٢٠٠٨/٥/٨، ص ٨٩).

من ذلك يقول ناصر بن خسروا في كتابه " سفرنامة " عن مدينة طرابلس في الشام " وشوارعها وأسواقها جميلة ونظيفة حتى ليظن أن كل سوق قصر مزين، وقد رأيت بطرابلس ما رأيت في بلاد العجم من الأطعمة والفواكه، بل أحسن منه مائة مرة، وفي وسط المدينة جامع عظيم، نظيف، جميل النقش حصين، وفي ساحته قبة كبيرة تحتها حوض من الرخام في وسطه فوارة من النحاس الأصفر". (خسرو علوي، ناصر، ١٩٩٣، سفر نامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ٥٨).

وكان الرحالة المسلمون في رحلاتهم أثنوجرافيين[١] من خلال ما قدموه من أوصاف للشعوب وعاداتها وتقاليدها وأخلاقها وأزيائها وملابسها، وقد كان أسلوب الرحالة يقوم على استجلاء الحقائق من خلال القراءة الواعية لمنظومة القيم والأفكار السائدة في مجتمع بعينه، ومن ثم تم تحليلها لاستخلاص النهج العام والأسلوب الحياتي المتدوال بين الناس، وبهذا تأتي أحكامه متسقة – إلى حد بعيد – وغير متنافرة. (الهروط، بلال، ٢٠٠٨، صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية، ص ٨٩).

وقد جاءت الصورة الاجتماعية التي قدمها الرحالة في كتبهم ضمن سياقات وأشكال متعددة تحدثوا فيها عن العادات والتقاليد والملابس والأطعمة والأشربة، وعن تصرفات القوم في مناسباتهم الدينية والاجتماعية المختلفة.

١. ١. العادات والتقاليد

ألقى الرحالة المسلمون في مؤلفاتهم الضوء على كثير من عادات وتقاليد الشعوب التي نزلوا في بلادها من زواج وأعياد وأطعمة وأشربة وملابس وأحكام وأعراف وجنائز ، وتمكنوا من رصدها في نصوصهم المدونة، كما عكست الرحلات صوراً لأشكال الحضارة والتقدم في مختلف البلدان التي توجه إليها الرحالة، ولذا كانت الرحلة سلسلة من سلاسل العقد الاجتماعي الذي يعمل على الربط والتلاقح بين مختلف الثقافات، كما تعمل على الامتزاج بين الشعوب من خلال التحاور الفكري، لتكون بذلك خير وسيلة للتقارب والتواصل بين الأمم.

[١] الإثنوغرافيا علم وصف الشُّعوب وهو أحد علوم الإنسان وينصبّ على دراسة المظاهر المادّيّة للنشاط الإنسانيّ من عادات وتقاليد كالمأكل والمشرب والملبس.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

وقد حملت الرحلات في نصوصها المكتوبة وجوهاً متنوعة لأنواع التعاملات الاجتماعية ومن هذه التعاملات ما رواه الغرناطي عن بلاد الصين بقوله " وأما بلاد الصين، فهي كبيرة، وملوكها أهل عدل وإنصاف وهم أكثر من أهل الهند أضعافاً مضاعفة، وفي أرضهم نِعم كثيرة، ولهم أنواع من الصنائع لا يهتدي إليها غيرهم، كالفخار الصيني والديباج، وغير ذلك. وهم يعبدون الأصنام كأهل الهند، إلا أن أهل الهند لا يأكلون الحيوان، ولا ما يخرج من الحيوان كالعسل واللبن، ويحرمون على المسلمين ذبح البقر، ويبيحون لهم ما سوى ذلك. وإذا مرض أحد منهم أعطى للقصاب مالا بقدر ما يرضيه، ويقولون له اعتق الحيوان من الذبح أياما معدودة على قدر ما يرضيه. وإذا مات بينهم غريب، وله أحمال من الأموال، لا يتعرضون لتركته ولا لشيء من ماله وأولاده ونسائه، ويحترمون التجار من المسلمين غاية الاحترام، ولا يؤخذ منهم عشور في بيع أو شراء، وولا مكس فياليت ملوك المسلمين اقتدوا بهذه السياسية الحسنة".(الغرناطي، عبدالرحيم،١٩٩٣، تحفة الألباب ونخبة الاعجاب، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، الطبعة الأولى، ص ٤٦).

ويصف ابن جبير عادة أهل الشام في السلام، التي تأخذ هيئة الانحناء كما يفعل في الركوع والسجود، وعبر بشيء من الامتعاض إذ يقول : " وصفة سلامهم إيماء للركوع أو السجود، فترى الأعناق تتلاعب بين رفع وخفض، وبسط وقبض، وربما طالت بهم الحالة في ذلك، فواحد ينحط وآخر يقوم، وعمائهم تهوى بينهم هوياً. وهذه الحالة من الانعكاف الركوعي في السلام كنا عهدناه لقينات النساء"، وكذلك عادة المشي عندهم حيث يقول : " ومن عجيب حال الصغير عندهم والكبير، بجميع هذه الجهات كلها، أنهم يمشون وأيديهم إلى خلف قابضين الواحدة على الأخرى، ويركعون للسلام على تلك الحالة المشبهة بأحوال العناة مهانة واستكانة". إلا أن القوم يعتقدون أن هذه الهيئة تبعث فيهم الراحة والنشاط، كما أنها تدل على نوع من التميز الاجتماعي. (ابن جبير الكناني، محمد، رحلة ابن جبير – تذكرة بالأخبار، دار صادر، بيروت، ص ٢٦٨).

وقد أبدى الرحالة اهتمامهم بكافة أشكال العادات والتقاليد التي يتشكل منها النسيج الاجتماعي للأمم سواء على المستوى الجماعي أو الفردي مما يساعدهم في تكوين فكرة عن هذا البناء الاجتماعي وسبر أعماقه، لاستجلاء الحقائق وقراءة الواقع بشكل واع، ففي دمشق ينقل ابن جبير طرفاً من أساليبهم في مخاطبة بعضهم بعضاً، والعبارات التي يستخدمونها في ذلك: " فتسمع ما شئت من صدر الدين أو شمسه أو بدره أو نجمه أو زينه أو بهائه أو جماله أو مجده... إلى ما لا غاية له من هذه الألفاظ الموضوعة، وتتبعها ولا سيما في

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

الفقهاء بما شئت أيضا من سيد العلماء وجمال الأئمة وحجة الإسلام" . (ابن جبير الكناني، محمد، رحلة ابن جبير – تذكرة بالأخبار، دار صادر، بيروت، ص ٢٦٧).

أيضا من ذلك ما ذكره ناصر بن خسرو في مؤلفه " سفرنامة" في الفقرة التي يصف فيها مصر: " وكانت البيوت من النظافة والبهاء إذ تقول إنها بنيت من الجواهر الثمينة لا من الجص والآجر والحجارة، وهي بعيدة عن بعضها، فلا تنمو أشجار بيت على سور بيت آخر ويستطيع كل مالك أن يعمل ما ينبغي لبيته في كل وقت من هدم أو اصلاح ، دون أن يضايق جاره". (خسرو علوي، ناصر، ١٩٩٣، سفر نامة، ص ١٠٦).

ونقل الرحالة شيئا من العادات – لدى بعض الأقوام – التي أصبحت شكلاً من أشكال البدع الاجتماعية يقومون بممارسة طقوسها بشكل منظم كلما استدعت الحاجة لذلك، من أجل كشف نازلة، أو جلاء مصيبة، أو من أجل رزق، مما يشي بتشبع أهل هذه البدعة (العادة الاجتماعية) بالروح الأسطورية، والاعتقاد بالخرافة كمنهج حياة في بعض شؤون حياتهم. ومن هذه العادات ما يتبعه البلغاريون في تسيير أمور حياتهم فهم يشترون السيوف لإلقائها في البحر للحصول على نصيب من السمكة التي ستخرج بفعل رمي السيوف فذكر الغرناطي أن: " كل أدمي يكون هناك يحتاج كل سنة إلى سيف يلقيه في بحر الظلمات. فإذا ألقوا السيوف أخرج الله لهم في البحر سمكة مثل الجبل العظيم يطردها سمكة أخرى أكبر منها أضعافاً مضاعفة تريد أكلها.. " وإن أهل بورا إذا لم يلقوا في البحر السيوف التي ذكرت، لم تخرج لهم سمكة، فيهلكون من الجوع ". (الغرناطي، عبدالرحيم،١٩٩٣، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، ص ١٣٤).

ويذكر الرحالة ناصر بن خسروا عادة عند أهل مصر : " حين يبلغ النيل الوفاء، ويبلغ ارتفاع الماء عشرين ذراعا عن مستواه في الشتاء، وتكون أفواه الترع والجداول مسدودة في البلاد كلها يحضر السلطان راكبا ليفتح هذا النهر الذي يسمى الخليج وفي ذلك اليوم (يوم ركوب السلطان لفتح الخليج) تفتح الخلجان والترع الأخرى في الولايات كلها. وهذا اليوم من أعظم الأعياد في مصر، ويسمى " عيد ركوب فتح الخليج" والاحتفال بثلاثة أيام، يدقون الطبل، وينفخون البوق، ويضربون الكوس في الاصطبل، لتألف الخيل هذه الأصوات" . (خسرو علوي، ناصر، ١٩٩٣، سفر نامة، ص ١١١).

وأهل بلغار يمنعون أهل ايسوا من دخول بلادهم في الصيف، لأنهم إذا دخلوا جلبوا معهم البرد والشتاء ومن ثمّ يتسببون في إفساد الزروع " ومن المعتقدات الخاطئة أن بعض البلاد لا يدخلها الحزن، وأهلها دائما في حالة سرور وإن حل بهم كرب. (خسرو علوي، ناصر، ١٩٩٣، سفر نامة، ص ١٣٤).

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

كما أثارت بعض التصرفات الاجتماعية الواقعة في البلاد التي زراها الرحالة المسلمون العجب والدهشة، من ذلك ما وقع في نفس ابن جبير بقوله: " ومن أعجب ما شاهدناه من أحوالهم التي تقطع النفوس إشفاقاً وتذيب القلوب رأفةً وحناناً، أن أحد أعيان هذه البلدة وجه ابنه إلى أحد اصحابنا الحجاج راغباً في أن يقبل منه بنتاً بكراً صغيرة السن قد زاهقت الإدارك، فإن رضيها تزوجها وإن لم يرضها زوجها ممن رضي لها من أهل بلده، ويخرجها مع نفسه راضية بفراق أبيها وإخوتها طمعاً في التخلص من هذه الفتنة ورغبة في الحصول في بلاد المسلمين". (ابن جبير الكناني، محمد، رحلة ابن جبير – تذكرة بالأخبار، ص ٢٦٤).

وتحدث بعض الرحالة عن انتشار ظاهرة شراء الغلمان والجواري التي تعد من المظاهر الاجتماعية الشائعة عند بعض المجتمعات التي قصدوها، حتى أن بعضهم قام بشراء بعض الجواري للحصول على خدمتها والزواج منها، من ذلك قول الغرناطي في مؤلفه " ففي بلاد الصقالبة بها يشترى كل شيء من الجواري والغلمان". (الغرناطي، عبدالرحيم،١٩٩٣، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، ص ١٣٦).

ومن العادات ما كان له أثر نفسي واضح عند الرحالة حفز لديهم كوامن النفور وعدم الرضى، وقد يعود ذلك الى طبيعة التكوين النفسي، أو أن في ذلك ما يخالف النواميس الدينية والاجتماعية التي اعتادوا عليها في مجتمعاتهم، فلذلك نجد تلك النبرة الحادة والمبالغة في نبذها وإنكارها.

وقام الرحالة بوصف الكثير من عادات الملوك والسلاطين للبلدان التي زاروها وتحدثوا عن هيئاتهم وحاشيتهم ومآكلهم وأزيائهم وطرائق استقبالهم والاحتفاء بهم، ملك صقيلة (غليام) له القصور المشيدة ، وهو كثير الاتخاذ للفتيان والجواري. ويصف ابن خلدون عادات الملك الظاهر عندما زاره بأنه يبر بالغرباء ويعلي من شأن العلماء، إذا يقول: " ثم كان الاتصال بالسلطان، فأبر اللقاء، وأنس الغربة، ووفر الجراية من صدقاته، شأنه مع أهل العلم". (ابن خلدون، عبد الرحمن، ١٩٧٩، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ، منشورات دار الكتاب اللبناني، لبنان، ص٣٠٩-٣١٠).

وقدم الرحالة وصفا مفصلاً للعادات المتبعة عند بعض الأقوام في دفن الموتى وتشييع الجنائز وطرائق تقبل العزاء عندهم، فالميت في بلاد (دربند) يسلم لرجال في بيوت تحت الأرض" يقطعون أعضاء الميت، وينقون عظامه من اللحم، ويجمعون لحمه فيطعمونه للغربان السود، ويقفون بالقسي يمنعون غيرهم من الطير أن يأكل من لحمه شيئاً، وإن كانت

امرأة .. يخرجون عظامها ويطعمون لحمها للحدأة ". (الغرناطي، عبدالرحيم،١٩٩٣، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، ص ٧٨).

وتحدث ابن جبير عن عادات أهل دمشق في تشييع جنائزهم، حيث يتقدم الجنازة قراء يقرؤون القرآن بصوت مرتفع يبعث على الشجى والبكاء، تكاد تخلع له النفوس، فإذا وصلوا إلى باب المسجد الأموي قطعوا القراءة، إلا إذا كان الميت من أئمة المسجد أو قرائه فإنهم يدخلونه بالقراءة إلى موضع الصلاة. وبعد الانتهاء من إجراءات الدفن يجتمع أهل المتوفى بالبلاط الغربي، ويجلسون وأمامهم ربعات من القرآن يقرؤونها، ويشير ابن جبير في هذا السياق إلى ما يسمى ب " نقباء الجنائز " ووظيفتهم رفع أصواتهم لكل واصل إلى العزاء من محتشمي البلد وأعيانهم، ويحلونها بخططهم الهائلة التي قد وضعوها لكل واحد منهم ". (ابن جبير الكناني، محمد، رحلة ابن جبير – تذكرة بالأخبار، ص ٢٢٩-٢٣٠).

١. ٢. الأطعمة والأشربة والملابس.

ساهمت كتب الرحلات في الكشف عن كثير من مواطن الاتفاق والاختلاف بين الناس عموماً في الأطعمة والأشربة والعادات والتقاليد المتبعة، وبينت أن الاختلاف في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية لبعض البلدان يعد من أهم أسباب التفاوت الذي يظهر أحياناً، فعادات السلاطين والملوك في ذلك تختلف عن العامة من حيث النوع والطريقة والتقديم. حيث كان طعام بعض السلاطين على صنفين، طعام للعامة وطعام للخاصة، ولكل منهما طريقة خاصة وطقوس معينة في التناول، ولكل إمام من الطعام مجلس معين لا يتجاوزه، ولا يزاحمه عليه أحد. من ذلك ما يقوله ابن خلدون في وصف سلطان المغول: " متكئا على مرفقه، وصحاف الطعام تمر بين يديه، يشير بها إلى عُصب المغل جلوساً أمام خيمته، حلقاً حلقاً ". (ابن خلدون، عبد الرحمن، ١٩٧٩، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباًو شرقا ، ص٣٠٩-٣١٠).

كما سلطت بعض الرحلات الضوء على أنواع الأطعمة السلطانية وطرائق تناولها، وتناول الرحالة في حديثهم عادات بعض الشعوب في إعداد الطعام وتناوله، فالأتراك لهم في الطعام طرائق لصنعه وتناوله كما يذكر لسان الدين بن الخطيب عقب تناوله الطعام عند أهل جبل هنتانه: " ثم تتلوها صحون نحاسية تشتمل على طعام خاص من الطير والكُباب واللقالق، .. ويتلو ذلك من أصناف الحلواء بين مُستبطن للباب البُر، ومعالج بالقَلو، وأطباق مُدَّخر الفاكهة وأوعية العود المحكم الخلَق، المشتملة على مُجاج الشهد" . (بن الخطيب، لسان الدين، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ص ١١٧.)

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

ومن ذلك أيضاً ما ذكره ابن بطوطة عند وصوله إلى مقديشو ووصفه للطعام الذي قدم له: " وطعامهم الأرز المطبوخ بالسمن، يجعلونه في صحف خشب كبيرة، ويجعلون فوقه صحاف الكوشان، وهو الإدام من الدجاج واللحم والحوت والبقول . ويطبخون الموز قبل نضجه في اللبن الحليب، ويجعلونه في صفحة، ويجعلون اللبن المروب في صحفة، ويجعلون عليه الليمون المصبر وعناقيد الفلفل المصبر المخلل و المملوح والزنجبيل الأخضر والعتب... وهم إذا أكلوا لقمة من الأرز أكلوا بعدها من هذه الموالح والمخللات. والواحد من أهل مقديشو يأكل قدر ما تأكله الجماعة منا عادة لهم ". (ابن بطوطة، محمد،١٩٨٧، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار احياء العلوم، بيروت، ص ٢٦٣).

وفيما يختص بالملابس، فقد حفلت كتب الرحلات بكثير من الإشارات الدالة عليها، وراح الرحالة يصفونها ويصفون تقاليدها وطقوسها وهم يرتحلون من مكان إلى آخر، كما أشار الرحالة إلى التنوع والاختلاف في الزي بين مكان وآخر وبين طبقة وأخرى، وفي هذا إشارة إلى الوضع الاجتماعي والاقتصادي السائد آنذاك.

من ذلك وصف ابن جبير زي النصرانيات في مدينة صور حيث يصف زي عروس نصرانية ويقول" زفاف عروس شاهدناها بصور في أحد الأيام عند مينائها، وقد احتفل لذلك جميع النصارى رجالاً ونساءً .. حتى خرجت تتهادى بين رجلين يمسكانها عن يمين وشمال، كأنهما من ذوي أرحامها، وهي في أبهى زي، وأفخر لباس، تسحب أذيال الحرير المذهب سحباً على الهيئة المعهودة من لباسهم، وعلى رأسها عصابة ذهب قد حفت بشبكة ذهب منسوجة، وعلى لبتها مثل ذلك منتظم، .. وأمامها جلة رجالها من النصارى في أفخر ملابسهم البهية، تسحب أذيالها خلفهم، ووراءها أكفاؤها ونظراؤها من النصرانيات يتهادين في أنفس الملابس ويرفلن في أرفل الحلى، والمسلمون وسائر النصارى من النظار قد عادوا في طريقهم سماطين يتطلعون فيهم ولا ينكرون عليهم ذلك". (ابن خلدون، عبد الرحمن، ١٩٧٩، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقا، ص٣٠٧).

كما وصف ابن جبير لباس النصرانيات في المناسبات العامة كالأعياد وغيرها بأن لباسهن كلباس المسلمات لا يختلف، فيقول في وصف زي النصرانيات في إحدى مدن جزيرة صقيلية: " وزي النصرانيات في هذه المدينة زي نساء المسلمين، فصيحات الألسن، ملتحفات، منقبات، خرجن في هذا العيد المذكور وقد لبسن ثياب الحرير المذهب، والتحفن اللحف الرائقة، وانتقبن بالنقب الملونة، وانتعلن الأخفاف المذهبة". (ابن جبير الكناني، محمد، رحلة ابن جبير – تذكرة بالأخبار، ص ٢٥٧).

ومن جانب آخر، فقد أشار بعض الرحالة إلى عادات الشعوب التي زاروها في أعيادهم ومظاهر الاحتفال فيها، وكانت عباراتهم الوصفية تعكس مدى التلاحم الاجتماعي بين كافة شرائح المجتمع. من ذلك ما ذكره ناصر بن خسرو في مؤلفه "سفرنامة": " و تجار مصر يصدقون في كل ما يبيعونه، وإذا كذب أحدهم على مشتر، فإنه يوضع على جمل، ويُعطى جرساً بيده، ويطوف به في المدينة، وهو يدق الجرس، وينادي قائلاً:

" قد كذبت وها أنا أعاقب وكل من يقول الكذب فجزاؤه العقاب". (خسرو علوي، ناصر، ١٩٩٣، سفر نامة، ص١٢٠).

إن ما قدمه الرحالة في كتاباتهم الرحلية من عادات وتقاليد الأمم في مأكلها ومشربها حمل في ثناياه كثيراً من دلالات التفاعل والتلاقي الحضاري، إذ تتبادل فيما بينها، وتطلع على ثقافات بعضها البعض، ولذلك عدت الرحلات شاهداً على جزء ليس باليسير على نمو كثير من عادات الشعوب والتلاقح فيما بينها.

وقد تباينت ردود أفعال الرحالة المسلمون فيما يتعلق بالمشهد الاجتماعي من عادات وتقاليد وأعراف تراوحت ما بين الرفض لبعض تلك العادات وقبولها.

٢. إثراء المشاهد الدينية في أدب الرحلات للتواصل الحضاري

نال المشهد الديني نصيبا كبيراً من اهتمام الرحالة المسلمين وذلك من خلال رصدهم لكثير من المشاهدات التي تكونت من خلال الصورة العامة للآخر، حيث تناول الرحالة هذا الجانب أداءً وممارسةً وتفاعلاً، إيمانا منهم بأهمية هذا العامل في خلق بيئة مناسبة للكشف عن كثير من مناطق الالتقاء في المنظومة الدينية لدى كافة الشعوب التي قصدوها، وإن لم يكن هذا من المرامي الأساسية التي تهدف إليها الرحلة، فتم الخوض في التفاصيل الدقيقة والاطلاع المباشر على الآخر ومعالم حياته ذات الصلة الوثيقة بمناسك الدين. (الهروط ، بلال، ٢٠٠٨، صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية، ص ٩٨).

فاستطاع الرحالة المسلمون أن يحملوا في ثناياهم معلومات وافرة عن أديان الأقوام التي عايشوها، أو مروا بها مستندين في ذلك على تجربتهم ومعايشتهم لكثير من تفصيلات المنهج الديني التي طالما شابها الغموض وعدم وضوح الرؤية لتلك الأمم، فقد أشار الرحالة إلى طبيعة هذا المشهد، وكيفية أداء طقوسه، وما يتصل به من ممارسات عقدية. وقد ارتكز البناء الصوري في هذا المشهد على ركائز متفاوتة، قومية ودينية وحضارية. أسهمت بشكل واضح في رفد الفكرة الأساسية المأخوذة مسبقاً عن معالم الحياة الدينية ومنهجها عند الآخر البعيد جغرافياً، والمنتمي إلى أعراق وقوميات أخرى. وسنتناول تفصيل تلك المشاهد

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

من جانبين، الأول بتفصيل المشاهد الدينية التي عايشها الرحالة عند المسلمين، والجانب الآخر المشاهد الدينية عند غير المسلمين من أهل الكتاب وغيرهم.

٢. ١. المشهد الديني عند المسلمين.

نقل الرحالة في كتبهم عدداً من السلوكيات الدينية التي يتشكل منها المشهد الديني عند الأمة الإسلامية أينما وجدت في المشرق أو في أوروبا وبلاد الهند وأرض الصين، وفصلوا وأوسعوا القول في كثير من محاورها، وأشاروا في حديثهم إلى العادات الدينية المتبعة عندهم.

ونال المشهد الديني في مكة النصيب الوافر من السرد والتفصيل لدى الرحالة، وذلك من خلال أداء الشعائر الدينية وقيامهم بالاعتناء بكل المظاهر الدينية وما يرافقها من عادات مرتبطة بالوازع الديني وما اتصل بها من معتقدات شعبية. وقد أشار ابن الجبير إلى الجانب الاعتقادي عند أهل مكة من خلال وصفه بعض العادات الدينية ذات الصلة بالمعتقد الشعبي لهم، ومن هذه العادات غسيل البيت بماء زمزم. إذ يقول: " فيتحرى غسله تكريما وتنزيهاً وإزالة لما يحيك في النفوس من هواجس الظنون فيمن ليست له ملكة عقلية تمنعه من أن تصدر عنه حادثة نجس من ذلك الموطن الكريم والمحل المخصوص بالتقديس والتعظيم، فعند انسياب الماء عنه كان كثير من الرجال والنساء يبادرون إليه تبركاً بغسل أوجههم وأيديهم فيه. (ابن جبير الكناني، محمد، رحلة ابن جبير – تذكرة بالأخبار، ص ١١١).

أما المشهد الديني في العراق فقد ارتسم بالحديث عن أبرز الشواهد والآثار الدينية المتمثلة في الجوامع وقبور الصحابة والأولياء وعن بعض مجالس الوعظ القائمة هناك. في حين أن المشهد الديني في دمشق تجسد في مسجدها الكبير وفيما أبداه أهلها من تصرفات ومعاملات ذات طابع ديني والتطرق إلى العادات الدينية السائدة هناك. بالإضافة إلى ذلك فإن الرحالة لم يغفلوا عما كان يدور داخل الرواق الإسلامي من الصراعات المذهبية. (الهروط ، بلال، ٢٠٠٨، صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية، ص ٩٨).

وقد أشار الرحالة ناصر بن خسروا إلى عادات أهل بيت المقدس بقوله: " ويذهب إلى القدس في موسم الحج من لا يستطيع الذهاب إلى مكة من أهل هذه الولايات، فيتوجه إلى الموقف ويضحي ضحية العيد كما هي العادة، ويحضر هناك لتأدية السنة ". (خسرو علوي، ناصر، ١٩٩٣، سفر نامة، ص٦٧).

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

أما في بلاد أوروبا وأفريقيا والهند فقد أشار الرحالة إلى المشهد الديني الإسلامي، وذلك من خلال الحديث عن أماكن إقامتهم في تلك البلاد، وكيفية عيشهم، ومن هذا ما نقله الغرناطي في وصف لمدينة (سجسين)[٢] التي يقطنها أربعون قبيلة من الغز لكل قبيلة أمير على حدة، ولهم دور كبار، تسع الواحدة منها مئة رجل، وتكثر فيها الجوامع التي يصلى فيها الجمعة، وجل سكان هذه المدينة على المذهب الحنفي، عدا من تواجد فيها من أهل المغرب فهم على المذهب المالكي. (الغرناطي، عبدالرحيم، ١٩٩٣، تحفة الألباب ونخبة الاعجاب، ص ١٢٦).

وأشار الغرناطي من خلال حديثه عن مسلمي الصقالبة إلى ضعف معرفتهم بالدين الإسلامي، وعدم تعمقهم بأموره. كما أشار الرحالة إلى بعض الأمور التي كان يمارسها المسلمون في تلك البلدان، وهي أمور تخالف روح الدين وتعاليمه، ومنها تناول الخمور والمسكرات. كما أشار الرحالة في رصدهم للمشهد الديني في تلك البلاد إلى إخفاء الإسلام وإظهار النصرانية، وذلك يعود لأسباب عدة منها أن يكون المسلمون في تلك البلاد قلة لا يشكلون قوة، من ذلك ما أشار إليه الغرناطي في وصفه للخوارزميين الذين يخدمون الملوك في بلاد الباشغرد، فهم يتظاهرون بالنصرانية، ويكتمون إسلامهم. (الغرناطي، عبدالرحيم، ١٩٩٣، تحفة الألباب ونخبة الاعجاب، ص ١٤١).

٢.٢. المشهد الديني لدى النصارى.

برزت فكرة التعايش أو التسامح بين الأديان في أثناء حديث الرحالة عن المشهد الديني، وذلك من خلال التطرق في حديثهم إلى مناطق الالتقاء والتوافق، إذ أدرك المسلمون والنصارى في بعض الأماكن التي يقيمون فيها أنهم يعمرون مكاناً واحداً، ويكونون نسيجاً اجتماعياً مشتركاً، مما دفعهم للحيلولة من دون النزاع الديني والتوجه نحو بناء مجتمع متماسك البنيان، وفي كتب الرحالة إشارات كثيرة إلى مثل هذه الحالات، من ذلك ما نقله ابن جبير عن نصارى جبل لبنان " ومن العجب أن النصارى المجاورين لجبل لبنان إذا رأوا به بعض المنقطعين من المسلمين جلبوا لهم القوت وأحسنوا إليهم ". (ابن جبير الكناني، محمد، رحلة ابن جبير – تذكرة بالأخبار، ص ٢٥٩).

ويذكر الغرناطي أن في طريق قونيا غاراً تحت الأرض فيه رجال موتى لا يعرف من أي أمة هم، والنصارى والمسلمون يتبركون بهم. (الغرناطي، عبدالرحيم، ١٩٩٣، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، ص ١٥٤).

[٢] مدينة قازان الروسية كما أشار محرر رحلة الغرناطي .

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

وفي بلاد الباشغرد يقاتل المسلمون إلى جانب الملك النصراني ضد ملك الروم. ويفصح ابن جبير عن التعايش الديني بين المسلمين والنصارى في مدينة بانياس [٣] إذ يقول : "ولها محرث واسع في بطحاء متصلة .. وعمالة تلك البطحاء بين الإفرنج والمسلمين، لهم في ذلك حد يعرف بحد المقاسمة، فهم يتشاطرون الغلة على استواء، ومواشيهم مختلطة، ولا حيف [٤] يجري بينهما فيه". (ابن جبير الكناني، محمد، رحلة ابن جبير – تذكرة بالأخبار، ص ٢٣٣).

وفي شرقي مدينة عكا محراب للمسلمين وضع الإفرنج في شرقيه محرابا، فالمسلم والكافر يجتمعان فيه ويستقبل كل منهما مصلاه. (ابن جبير الكناني، محمد، رحلة ابن جبير – تذكرة بالأخبار، ص ٢٣٦). كما أشار ناصر بن خسروا في مؤلفه سفررنامة إلى وصف التآلف الديني في بيت المقدس بقوله: "كذلك يأتي لزيارة بيت المقدس، من ديار الروم، كثير من النصارى واليهود، وذلك لزيارة الكنيسة والكنيش هناك".(خسرو علوي، ناصر، ١٩٩٣، سفر نامة، ص٦٧). كما ذكر كنيسة بيعة القمامة في بيت المقدس وذلك بقوله: " بيعة القمامة لها عندهم مكانة عظيمة ويحج إليها كثير من بلاد الروم ويزورها ملك الروم متخفياً، حتى لا يعرفه الناس". (خسرو علوي، ناصر، ١٩٩٣، سفر نامة، ص٨٨).

وبعد فقد استطاع الرحالة من خلال حديثهم عن المسألة الدينية لدى كثير من الشعوب التي قصدوها أن يرسموا الإطار العام للثقافات المتباينة التي نبع منها كثير من التصرفات والعادات المتداولة ضمن المنهج الحياتي، بحيث أوجدوا لمن تلاهم بوادر التفاعل الثقافي بين الأمم وإن لم يكن في شعورهم الباطني هذا الهدف بصورة واضحة، وأنما حققوه من خلال ما قدموه من التفصيلات العامة لحياة الآخر، اجتماعياً ودينياً وثقافياً، وكان لهم استدلالات ثابتة تنبع من صميم قراءاتهم للواقع الذي عاشوه وصوروه في كتبهم.

٣. إثراء المشاهد الثقافية في أدب الرحلات للتواصل الحضاري

حفلت مدونات الرحالة المسلمين بالصور الحية عن الشعوب التي زاروها في أوروبا وشرق آسيا وفي أفريقيا عكسوا فيها طريقة النظر تجاه الآخر في عدة مشاهد فصلت مناحي حياته المختلفة دون فيها الرحالة جل ما عايشوه سماعاً ومشاهدةً، فتناولوا الآخر ابتداء من موقعه الجغرافي والبيئة المكانية التي أسهمت بشكل جزئي في رسم الملامح العامة لحياته، كما تناول الرحالة الجوانب الاجتماعية والدينية والثقافية، فكان ما قدموه من معلومات

[٣] مدينة قريبة من دمشق هي ثغرة بلاد المسلمين، وهي صغيرة ولها قلعة يستدير بها نهر يفضي إلى أحد أبواب المدينة، وكانت بيد الافرنج فاسترجعها نور الدين زنكي ، ولها محترث عظيم واسع في بطحاء متصلة. انظر الحميري ، الروض المعطار ، ص ٧٤.

[٤] الميل في الحكم، او الجور والظلم ن ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (حيف).

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

وإيضاحات له أثر كبير في إزالة كثير من مواطن الغموض التي اعترت صورة الآخر لفترات طويلة، مما ساعد في التخلص من حالة النفور بين الثقافات الإنسانية.

تعد الرحلات سواءً في وجودها الفعلي أو في تمثيلها النصي– شكلا من أشكال التواصل الثقافي بين الشعوب. كما تمثل الرحلات نوعاً من الأدب غير التقليدي الذي يجعل كل رحلة في نصها الخاص المميز – صورة للتواصل الثقافي يجسدها رحالة بعينه في بلاد بعينها مع شعوب بعينها. مما يجعله يعيد اكتشاف ذاته إلى جانب اكتشافه الآخر، لأنه يقع على مواطن الضعف والقوة ومواطن الاتفاق والاختلاف في الثقافات المتنوعة ومنها ثقافته، مما قد يمهد سبل انتقال الأفكار والمعارف، لأن الرحلة تسجيل أو تعبير بصورة أو بأخرى عن التنوع بين البشر من عادات وتقاليد وأفكار ومعتقدات ونظم بما يسهم في فهم مسيرة الحضارة الإنسانية. (الهروط ، بلال، ٢٠٠٨، صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية ص ١١٢–١١٣).

لقد ظهر اهتمام الرحالة بالجانب الثقافي عند الأقوام التي قصدوها في أماكن متباينة، من خلال ما حملته كتاباتهم من تفصيلات وإشارات للمنجز البشري على المستوى المعرفي في العلوم والآداب، من ذلك ما ذكره التلمساني عن الكتابة في الأندلس بقوله: " وأما الكتابة فعلى ضربين أعلاهما: كاتب الرسائل، وله حظ في القلوب والعيون عند أهل الأندلس، وأشرف أسمائه الكاتب. وأهل الأندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السمة، لا يكادون يغفلون عن عبراته لحظة، فإن كان ناقصاً عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الألسن في المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه، والكاتب الآخر كاتب الزمام، هكذا يعرفون

كاتب الجهبذة، ولا يكون بالاندلس وبرّ العدُوة لا نصرانياً ولا يهودياً البتة، إذا هذا الشغل نبيه يحتاج إلى صاحبه عظماء الناس ووجوههم." (المقري التلمساني، أحمد ،2011، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، دار صادر للنشر والطباعة ، بيروت. ص ٢١٧).

كما أشار التلمساني إلى العلوم والآداب عند أهل الأندلس ببيانه "بأنهم أحرص الناس على التميز، والجهل عندهم في غاية القبح والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة، وأنه ليس لديهم مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرءون جميع العلوم في المساجد بأجرة، وقراءة القرآن عندهم بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة، وللفقة عندهم رونق ووجاهة، وعلم الأصول عندهم متوسط الحال، والنحو عندهم في نهاية من علوّ الطبقة". (المقري التلمساني، أحمد ،2011، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ص ٢٢١).

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

وكان لأدب الرحلات عند المسلمين لمسات واضحة في رصد الحركة الثقافية تمثلت في ذكر المدراس الأدبية والدينية التي عمرت في بنية الثقافة أمداً طويلاً وشكلت تاريخاً ثقافياً مهماً، وكان لها دور واضح في حفظ الإرث الثقافي، كالمدرسة النظامية في بغداد والمدرسة المالكية في دمشق، وقد حظيت تلك المدارس بالاهتمام المتمثل في إقامة بعضها في أماكن العبادة، وكذلك رصد الرحالة لها حيثما حلوا، وشكل ذكر أسماء الأدباء والفقهاء القائمين على شؤون التعليم جانباً من جوانب الحركة الثقافية الواردة في كتب الرحلات، وكذلك تسجيل بعض المؤلفات والكتب وتوثيق مسمياتها. (الهروط ، بلال، ٢٠٠٨، صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية ص ١١٣).

كما تمثل المشهد الثقافي في كتب الرحلات في وجوه متنوعة، ولم يقتصر على ذكر المدارس والحديث عن أساليب التدريس فيها، ومن هذه الوجوه الحركة العلمية التي اشتملت على ذكر الأدباء والفقهاء، كما حملت الكتب الرحلية أسماء عدد من الكتب والمؤلفات. وزخرت بعض كتب أدب الرحلات بالقصص المنقولة من كتب أخرى، ونشير إلى ما ذكره التلمساني في كتابه " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب " قوله "ونقلت من كتاب قطب السرور لابن الرقيق المغربي"، في إشارة إلى ذكره قصة استطرادية عن عبدالوهاب بن حسين بن جعفر الحاجب. كما أشار إلى ما أورده ابن بشكوال من الأحاديث والآثار في شأن فضل الأندلس والمغرب في كتابه "المُغرب". وما نقله عن ابن حوقل عن رخاء الأندلس . (المقري التلمساني، أحمد ،2011، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، دار صادر للنشر والطباعة ، بيروت. ص ١٩٤و ٢٠٤).

كما أشار المسعودي في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر، إلى الكيمياء بقوله: " ولطلاب صنعة الكيمياء من الذهب والفضة وأنواع الجوهر من اللؤلؤ وغيره وصنعة أنواع الإكسيرات من الإكسير المعروف بالفرار وغيره، وإقامة الزئبق وصنعته فضة وغير ذلك". (المسعودي، علي، ٢٠٠٥، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الرابع، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ص ٢٠٤).

بذلك نكون قد فصلنا في العلاقة الإثرائية لأدب الرحلات عند المسلمين في ميدان التواصل الحضاري وذلك عن طريق الوقوف على أبرز المشاهدات التي مروا بها، وبيان مدى تأثيرها في عملية التواصل الحضاري بين المسلمين في مختلف الأمصار ومن مختلف الأعراق من جهة، وبين المسلمين والآخر من جهة ثانية، وعلى هذا فقد كان الرحالة بما نقلوه ووصفوه العين التي ننظر من خلالها اللاحقون للكثير من عادات الأمم و الشعوب

وتقاليدها وأعرافها الثقافية، بما كانت ترصده عيونهم، وتسجيله في ذاكرة الأيام شاهداً على التاريخ وحافزاً لتقصي أخباره .

وبذلك يمكن القول بأن كتب أدب الرحلات أسهمت من خلال النظرة التفصيلية المفسرة في الشؤون الاجتماعية والدينية والثقافية في إقامة جسور التواصل مع الرحالة والآخر، وذلك من خلال المعايشة والمعاينة في كشف كثير من الأمور المغيبة عن الوعي الجمعي الذي اكتفى بما قدم له واختزنه في ذاكرته، من أحكام وتصورات عن الآخر .

الخاتمة:

حاولت الدراسة الكشف عن الدور الفاعل لأدب الرحلات في التاريخ الإسلامي في إقامة جسور التفاعل الاجتماعي والثقافي والتواصل الحضاري، وذلك من خلال نقل كثير من مشاهد حياة الشعوب التي زاروها إلى بلدانهم وسائر الأقطار الأخرى.

وقد تناولت الدراسة بالتحليل والتفصيل المدعم بالأمثلة النصية المجتزأة من كتب الرحلات أبرز النقاط التي قامت عليها العلاقة بين الرحالة والآخرين من المسلمين وغيرهم وذلك من خلال الخوض في المشاهد الحياتية العامة، الاجتماعية والدينية والثقافية، وكذلك الإفصاح عن مواطن الالتقاء والاختلاف عن طريق المقارنة التي فرضتها طبيعة الموقف والحدث الجلي.

وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج وهي:

- أن تنوع الدوافع التي قادت المسلمين إلى القيام برحالاتهم، من دينية وعلمية وتجارية وسياسية، واختلاف مقاصدهم، إضافة إلى تعدد المصادر التي اعتمدوا عليها في رسم صورة التفاعل من خلال التجربة والسماع والقراءة، والمعايشة المباشرة، والنقل عن الكتب أدى إلى تنوع واضح في المفردات التي أسهمت في عملية إثراء التواصل الحضاري.
- أن الرحالة المسلمين كانوا على معرفة عميقة بطرائق حياة الشعوب التي زاروها الاجتماعية والدينية والثقافية وغيرها، مما أتاح لهم القدرة على التعامل مع الآخر والانفتاح عليه، من خلال الحوارات والنقاشات والمجالس العلمية التي شاركوا فيها، وقد أدى ذلك إلى تعميق التواصل الحضاري ما بين الرحالة المسلمين والآخرين .
- أن أبرز أنموذج ملموس للحوار بين الثقافات هو أدب الرحلة، ذلك أن الناس انتقلوا على مدى قرون من مكان إلى مكان آخر إما للعمل، أو لطلب العلم، أو للتجارة، أو في مهام دبلوماسية، أو لغاية الترفيه.
- أن أدب الرحلات أسهم في اكتشاف العالم والانسان وذلك عن طريق الاختلاط والحياة مع الشعوب المختلفة، إضافة إلى الاجتهاد في دراسة أخلاقهم وطباعهم، والتحقيق في

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

دياناتهم ونظم حكمهم مما ضع أمام الفرد مجالا طيبا للمقارنة، كما ساعدته على تقييم نظم وتقاليد بلده وموطنه. كما أن الرحلة رسخت كل العوامل والمفاهيم التي بنيت عليها مسألة وحدة البشر على الأرض، مما يحصل معها من الاتصال بين الشعوب، واكتساب معرفة الواحد بالآخر خصوصا فيما يتعلق باللغة والتقاليد والعادات.

- أن نصوص أدب الرحلات تقدم مؤشرات نفسية واجتماعية لكثير من جوانب العلاقة بين الرحالة المسلمين والآخرين، في البلدان التي زاروها، وتكشف عن بعض الظواهر الاجتماعية والحضارية التي كانت منتشرة في تلك البلدان وتسبر أغوارها، وترسم ملامحها المختلفة، مما تولد عنه مخزون أدبي رفيع المستوى تمثل في أدب الرحلات الذي ذخر بتفاصيل وأنماط من التواصل الحضاري بين الرحالة المسليمن وسكان المناطق التي ارتحلوا إليها.
- مزج أدب الرحلة في التاريخ الإسلامي بين الحقيقة والخيال، وبين السيرة الذاتية والاثنوغرافيا، كما جمع بين عدد من الحقول العلمية، والأصناف الأدبية والأنساق الاجتماعية. فضلا عن ذلك، تطرق أدب الرحلة لقضايا تتعلق بالسلطة، والنظرة إلى الذات وثقافة الآخر، والخيال.
- أن كتابات الرحالة مهما اختلفت توجهاتهم الفردية ونزعاتهم الشخصية، تصور إلى حد كبير ملامح حضارة العصر الذي عاشوا فيه، كما تصف الكثير من عناصر ثقافة البلدان التي ذهبوا إليها، وأحوال الشعوب التي اختلطوا بها.
- أدت الرحلة – فضلا عن التجارة والحرب – دورا مهما في انتقال القيم الحضارية وانتشارها بين الشعوب والأمم منذ أقدم العصور، وانفتاح بعضها على نظم البعض الآخر، وتمازجها الحضاري والثقافي.
- أحدث أدب الرحلات ترابطاً متواصل بين المشرق والمغرب رغم بعد الشقة بينهما، وأسهمت في نشر العلم وكونت علماء نابغين ووسعت الثقافة والتواصل الحضاري بين الشرق والغرب، من ذلك ما حققته الرحلات الأندلسية نحو المشرق في كونها عملت على نقل الذاكرة المعرفية المشرقية عامة إلى أهل الأندلس وجعلتهم يعتزون بانتمائهم للعروبة والإسلام . ويمكن التحدث عن هذا التأثير المشرقي في الاندلسيين من خلال نقل العلوم الدينية ، وعلوم اللغة ، والآثار الأدبية والشعرية.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المعاجم اللغوية

١. ابن منظور، جمال الدين، ٢٠٠٧، لسان العرب، دار المعارف، بيروت.
٢. الجوهري، أبو نصر،١٩٨٧، الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت، جـ ٦.
٣. ابن فارس، أبي الحسن أحمد، ١٩٧٩، مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت جـ١.
٤. الفيروز أبادي، محمد، ٢٠٠٥، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨.
٥. عمر، أحمد، ٢٠٠٨، معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، الرياض، ط١.

ثانياً: المصادر والمراجع التاريخية

٦. ابن جبير، رحلة ابن جبير، ١٩٥٩، تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الأسفار، دار صادر، بيروت.
٧. ابن بطوطة، محمد،١٩٨٧، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار، دار احياء العلوم، بيروت.
٨. الغرناطي، عبدالرحيم، ١٩٩٣، تحفة الألباب ونخبة الاعجاب، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، الطبعة الأولى.
٩. المقري التلمساني، أحمد ،٢٠١١، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، دار صادر للنشر والطباعة ، بيروت.
١٠. ابن خلدون، عبد الرحمن، ١٩٧٩، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، منشورات دار الكتاب اللبناني، لبنان.
١١. ابن رشيد، الفهري السبتي، ١٩٨٢، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، الدار التونسية للنشر، تونس.
١٢. المسعودي علي بن الحسين بن علي، ٢٠٠٥، مروج الذهب ومعادن الجوهر،المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، جـ ٣ .
١٣. ابن الخطيب، محمد بن عبدالله، ١٩٥٥، نفاضة الجراب في علالة الإغتراب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، جـ٣.
١٤. خسرو علوي، ناصر، ١٩٩٣، سفر نامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

ثالثاً: المصادر والمراجع الحديثة

١٥. رمضان، أحمد، ٢٠٠٧، الرحلة والرحالة المسلمون، البيان العربي للطباعة والنشر، جدة.
١٦. حسنين، حسني، ١٩٨٣، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، الطبعة الثانية.
١٧. كراتشكوفسكي، اغناطيوس،١٩٥٧، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، دار الثقافة في جامعة الدول العربية، ج١.
١٨. كرد علي، محمد، ١٩٣٤، الإدارة الإسلامية في عز العرب، مطبعة مصر، القاهرة.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

رابعاً: الاصدارات

١٩.بناهض عبدالكريم، التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربي من خلال الرحلة العياشية (ماء الموائد) المجلد ٢٠١٨، العدد ١٠، ٣١/يناير/٢٠١٨، ص٥٧-٥٦.

٢٠.فهيم، حسين محمد، أدب الرحلات ١٣٨، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت .

٢١.مجموعة مؤلفين، أدب الرحلة في التواصل الحضاري، سلسلة ندوات ٥، ١٩٩٥، جامعة المولى إسماعيل كلية الأداب والعلوم الإنسانية مكناس.

خامساً: الدراسات الجامعية:

٢٢.الهروط ، بلال، ٢٠٠٨، صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية، رسالة دكتوراة، نوقشت وأجيزت من جامعة مؤته بتاريخ ٢٠٠٨/٥/٨.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

References

1. Ibn Manzur, Jamal al-Din, 2007, Lisan al-Arab, Dar al-Maaref, Beirut.
2. Al-Jawhari, Abu Nasr, 1987, Al-Sahah, Dar al-Ilm lil-Malayin, Beirut, Vol. 6.
3. Ibn Faris, Abu al-Hasan Ahmad, 1979, Language Standards, Dar al-Fikr, Beirut, Vol. 1.
4. Al-Fayruzabadi, Muhammad, 2005, Al-Qamoos Al-Muhit, Al-Risalah Foundation, Beirut, 8th ed.
5. Omar, Ahmad, 2008, Dictionary of Contemporary Arabic, Dar Alam al-Kutub, Riyadh, 1st ed.
6. Ibn Jubayr, Ibn Jubayr's Journey, 1959, A reminder of the news of travel agreements, Dar Sadir, Beirut.
7. Ibn Battuta, Muhammad, 1987, Ibn Battuta's Journey: A masterpiece for the observers of the wonders of cities and the wonders of travel, Dar Ihya' al-Ulum, Beirut.
8. Al-Garnati, Abdul Rahim, 1993, A masterpiece of the minds and the elite of admiration, Dar Al-Afaq Al-Jadida Publications, Morocco, first edition.
9. Al-Maqri Al-Tilimsani, Ahmed, 2011, Blowing the perfume from the moist branch of Andalusia, Dar Sadir for Publishing and Printing, Beirut.
10. Ibn Khaldun, Abdul Rahman, 1979, Introduction to Ibn Khaldun and his journey west and east, Dar Al-Kitab Al-Lubnani Publications, Lebanon.
11. Ibn Rashid, Al-Fahri Al-Sabti, 1982, Filling the defect with what was collected by the length of the absence in the prominent destination to the two holy mosques Mecca and Thebes, Tunisian House for Publishing, Tunis.
12. Al-Masoudi, Ali bin Al-Hussein bin Ali, 2005, Meadows of Gold and Mines of Gems, Modern Library, Beirut, First Edition, Vol. 3.
13. Ibn Al-Khatib, Muhammad bin Abdullah, 1955, The Emptying of the Bag in the Cause of Alienation, New Success Printing Press, Casablanca, Vol. 3.
14. Khosrow Alawi, Nasser, 1993, Book of Books, Egyptian General Book Authority, Cairo.
15. Ramadan, Ahmed, 2007, The Journey and Muslim Travelers, Al-Bayan Al-Arabi for Printing and Publishing, Jeddah.
16. Hassanein, Hosni, 1983, Travel Literature among the Arabs, Dar Al-Andalus for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, Second Edition.
17. Kratchkovsky, Ignatius, 1957, History of Arab Geographical Literature, Dar Al-Thaqafa in the League of Arab States, Vol. 1.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

18. Kurd Ali, Muhammad, 1934, Islamic Administration in the Glory of the Arabs, Misr Press, Cairo.
19. Banahed Abdul Karim, Civilizational Communication between the East and the Maghreb through the Ayashiya Journey (Maa Al-Mawaed), Volume 2018, Issue 10, 31/January/2018, pp. 56-57.
20. Fahim, Hussein Muhammad, Travel Literature 138, World of Knowledge, a monthly cultural book series issued by the National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait.
21. Group of authors, Travel Literature in Cultural Communication, Seminar Series 5, 1995, Moulay Ismail University, Faculty of Arts and Humanities, Meknes.